صمت الدولة: حين تكون القوة في "اللا–كلام"

ما بعد العبارة: حين لا يُقال شيء، لكن يُفهم الكثير

في الخليج، يُراقَب القول أكثر من الفعل. فالصمت ليس فراغًا، بل رسالة تُرسل دون أن تُعلن.

فحين تغيب العبارة، أو يُؤجَّل البيان، لا تُغيب الدولة، بل تُعلن حضورها بلغة أخرى — أقلّ وضوحًا، وأكثر سلطة.

ليست المسألة فيما يُقال، بل فيما لا يُقال. وحين يُحذف التعليق، أو يُستبدل بعبارة عامة، أو يُؤجّل إلى أجلٍ غير مسمّى، فإن الصمت يتحوّل إلى مساحة دلالية، تُقرأ كما تُقرأ البيانات، بل أحيانًا بترقّبٍ أشد.

آرنت والسلطة غير الناطقة

عند **حنّة آرنت**، ليست السلطة في رفع الصوت، بل في القدرة على **الحضور دون ادّعاء**، وعلى تنظيم المجال دون افتعالٍ أو صخب. وفي سياقات التوتّر أو التحوّلات، يصبح الصمت خيارًا وجوديًا: إمّا لتفادي كسر التحالفات، أو لتأجيل الاعتراف، أو لتجنّب خلق واجب الرد.

تكتب آرنت أن "العمل السياسي ليس هو ما يُفعل فحسب، بل ما يُترك ليتكوّن بفعل الغير" — والصمت، بهذا المعنى، هو فعل محكوم بالبنية، لا بالانفعال.

محمد جابر الأنصاري: التواطؤ مع الصياغة المؤجلة

يرى **محمد جابر الأنصاري** أن جزءًا من مأزق الخطاب السياسي العربي، لاسيما في الخليج، يكمن في الميل إلى **المسكوت " المُهيكل" عنه** :حيث لا يكون الصمت تعبيرًا عن الحكمة، بل أداة لتأجيل الحسم، ومراوغة للمساءلة. في الخليج، يصبح التريّث في الكلام أحيانًا طريقة لإبقاء العلاقات مفتوحة، دون أن يُفتح فم الدولة.

ففي حالات مثل تصريح غير محسوب، أو ردّ فعل إقليمي مربك، قد تختار الدولة أن "لا ترد" — لا لأنها تجهل ما تقول، بل لأنها **تُدرك تمامًا ثقل ما قد يقال** —فتختار أن تترك الباب مواربًا، لا مفتوحًا ولا مغلقًا.

التوازن بين الصوت والسكوت

الصمت الرسمي، إذًا، ليس علامة غياب. بل هو صيغة سيادية كاملة، تُمارس عبر اختيار متى وأين وكيف يُنطق باسم الدولة. لكنه، إن لم يُصاحب باستراتيجية واضحة، قد يُفهم ضعفًا، أو ارتباكًا، أو رفضًا مبطّنًا.

فحين تصمت دولة صغيرة إزاء موقف سعودي، أو تُؤجّل التعليق على بيان أميركي، فإنها لا تغيب، بل **تختار موقعها في صمتٍ مدروس، وسط ضجيجٍ لا ينقطع** . هذا الصمت لا يُقاس بزمنه، بل بنتائجه.

ما لا يُقال:

في الخليج، الصمت ليس تقصيرًا ولا مراوغة. لكنه أيضًا ليس دائمًا حكمة أو مناورة. أحيانًا، يكون السكوت وسيلة لتفادي التورّط، وقد يكون وسيلة لتأجيل المواجهة. لكنه — في لحظات مفصلية — قد يكون خسارة لصوتٍ لم يُنطَق حين كان لازمه أن يُسمع. فهل الصمت حماية؟ أم انسحاب؟ أم انتظار مشروط؟

ما لا يُقال لا يغيب، بل يطفو صامتًا — كسؤالٍ لا يطلب جوابًا، بل يكشف حدود ما يمكن أن يُقال.